الأهرام

المصدر: عكـــــــاظ
التاريخ: ٩ ذو الحجـــة ١٤٠٠هـ

أحداث أفغانستان تترك تأثيرًا عميقًا.. لدى المسلمين فى الاتحاد السوفيتى

يمثل المسلمون فى الاتحاد السوفيتى البالغ عددهم ٤٤ مليون مسلم طليعة لمجتمع الأمة الأسلامى فى هذا البلد الشيوعى رغم أساليب القهر التى يتعرضون لها ومحاولات التاثير المستميتة لجعلهم يرتدون عن دينهم لكى ينخرطوا فى المجتمع اللادينى الذى لايؤمن الا بالماركسية اللينينيه التى أثبت التطور سقوط دعواها فى مختلف المجالات ٠

واذا كان المسلمون فى الاتحاد السوفيتى يعيشون ظروف قهر تزيد فى قسوتها عن تلك التى تعيشها اقليات اسلامية فى دول اجنبية اخرى الا ان هذا لا يعنى الاستكانة من جانبهم والتسليم بالامر الواقع ٠ فالغليان مستمر مع استمرارية الارتباط القائم منذ زمن بعيد بالاسلام بين غالبية المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ٠

وقد حرك الغزو السوفيتى لافغانستان مشاعر المسلمين السوفييت الا انهم كما يشير المراقبون يكبحون انفعالاتهم ازاء هذا الاعتداء الصارخ على دولة اسلامية-بسبب سياسات القمع التى تنتهجها السلطات السوفيتية ازاء كل من يحاول التعبير عن رفضه لهذا الغزو الذى ادانه المجتمع الدولى بشدة ٠

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وتشير الاحصاءات الى أن عدد المسلمين فى الاتحاد السوفيتى يتدعمون بمعدل من المواليد يفوق ذلك الذى لدى الاكثرية المسيطرة من السروس الأوروبيين .. ويدرك المسلمون فى آسيا الوسطى هذه الحقيقة ومن ثم فانهم يشعرون ان الوقت يعمل لصالحهم بما يحمله من دلائل تغير فى التركيب السكانى لصالح المسلمين .

ومن المؤكد ان تاثير هذا على تماسك واستقرار الاتحاد السوفيتى فى المستقبل سيكون كبيرا خصوصا اذا ما ترجم تضامن المسلمين فى روسيا الذين فاض الكيل بغضبهم واستيائهم فى النهاية الى عمل بمساعدة اخوانهم فى مختلف البلاد الاسلامية .

وقد اوضح احد كبار ثقات العالم الغربى فى شئون المسلمين فى الاتحاد السوفيتى ان المسلمين السوفييت فى آسيا الوسطى السوفيتية مع ادراكهم ان الوقت يعمل لصالحهم الا انهم لايريدون افساد تلك الامكانية بأية ثورة او حركة تمرد تجرى قبل الأوان وقال ان ذلك هو السبب الذى من اجله لاتوجد ثورة الآن والذى من اجله يلوذ المسلمون بالصمت ، ويكتمون انفعالاتهم الناجمة عن الغزو السوفيتى لأفغانستان

واعرب الدكتور الكسانسدر بينغسين الاستاذ الزائر فى جامعة شيكاغو والذى كان يتحدث امام عديد من محللى الشئون الاسلامية فى مؤتمر عقد بواشنطن فى شهر يونيو الماضى عن تفاؤله بقابلية الاسلام المتواصلة للحياة فى الاتحاد السوفيتى رغما عن المسار الالحادى لذلك البلد الشيوعى . ووصف تزايد المسلمين السوفيت بانه « انفجار سكانى رائع »

وقد عقد المؤتمر برعاية عدة مؤسسات تربوية لاتتوخى الربح بزعامة اللجنة الوطنية لتكريم الذكرى المئوية الرابعة عشرة لظهور الاسلام وبحث المؤتمرون بشىء من التعمق التعليم الاسلامى والشريعة الاسلامية والعائلة كمؤسسة اساسية فى المجتمع الاسلامى وشارك فى المؤتمر عدد من الأساتذة فى معهد شئون الاقليات الاسلامية التابع لجامعة الملك عبدالعزيز فى جدة .

وأكد الدكتور بينغسين فى معرض حديثه عن الجالية الاسلامية فى حوالى شهر فبراير اى بعد شهر فقط تقريبا من الغزو السوفيتى كان الجنود المسلمون السوفيت جميعا قد انسحبوا من افغانستان

٢ ـ تفجرت اضطرابات معادية للسوفيت قبل عدة اشهر فى صفوف المسلمين فى منطقة طاجاخستان وهى منطقة واقعة الى الشمال من افغانستان وفيها نشأ وترعرع علماء المسلمين فى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

«الدين الاسلامي» الذي كان راسخا في اعماق نفوس عدد كبير من سكان هذه المنطقة.

و بدأت السلطات السوفياتية عملية حصار نموذجية في سبيل استئصال التعاليم الدينية في البلاد من وجهة نظرها الايديولوجية. فاستولت على املاك الكنيسة واعتقلت ثم ادانت كافة رجال الدين المسلمين الذين لا يتراجعون عن دينهم. و بدأت بازالة المساجد لتضع مكانها تماثيل تنكارية للينين او لتبني مكانها مراكز لتعليم الآيديولوجية الشيوعية وادخلت تغييرات على المدارس

ودور السينما والنوادي.

وفي سبيل وضع حد نهائي للمقاومة الاسلامية في العاصمة الاوزبكستانية سمرقند، التي كانت تعتبر ساحة ر يجستان فيها والتي تحتوي على ثلاثة مساجد، قلعة دينية، اطلق على مدينة طشقند عاصمة اوز بكستان فاحتج عشرات الالوف من رجال الدين والمؤمنين على هذا الاجراء ولكن دون جدوى. ثم عمدت السلطات السوفياتية لفتح متاحف مناهضة للاديان ـ غالبا في الاماكن التي كانت مساجد وكنائس قبل ذلك ـ كما عمدت لاخراج الافلام السينمائية لنفس الغرض.

ولم تتوقف هذه للعركة الا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، والسبب في ذلك حاجة ستالين لدعم المسلمين والمسيحيين للبقاء على قيد الحياة في قتاله ضد هتلر. ونجم عن هذه الحاجة وجود «قساوسة حمر» في الاتحاد السوفياتي واعلنوا باسم كافة المواطنين في البلاد تاييدهم لخطوات الاتحاد

السوفياتي في صراعه ضد النازية حتى ان بعض رجال الدين في معابدهم باتوا يصلون من اجل تحقيق لنصر للسوفيات وكاعتراف من السلطات السوفياتية بالجميل، سمحت لرجال الدين بتشكيل

اداراتهم الدينية وانتخاب اربعة رجال دين بلقب «مفتي» اضافة للمفتي الاعلى في الاتحاد السوفياتي الامام ايشان بابا خان ابن ال مجيد خان. اما ابنه الذي كان انذاك نائبه ايضا و يدعى ضياء الدين فقد سمى نفسه اسما روسيا

واصبح يعرف باسم «بابا خانوف» فقد استلم مهام والده بعد وفاته عن عمر يناهز ٩٨ عاما. واصبح المفتي الاعلى للاتحاد السوفياتي. كما سمحت السلطات السوفياتية بعودة نهاب المواطن المسلم للحج في مكة المكرمة، وفي الاونة الاخيرة سمح للمفتي الاعلى في الاتحاد السوفياتي استقبال كبار الزوار

من رؤساء الدول مثل استقبال بابا خانوف للرئيس الاندونيسي سوكارنو والزعيم المصري الراحل جمال عبدالناصر، كما سمح للمسلمين في الاونة الاخيرة بتنظيم وحضور المؤتمرات الاسلامية، كان اخرها المؤتمر الاسلامي

الذي عقد في مدينة دوشبني عاصمة جمهور ية تاجكستان السوفياتية وذلك قبل الغزو السوفياتي لافغانستان في الخر يف الماضي .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

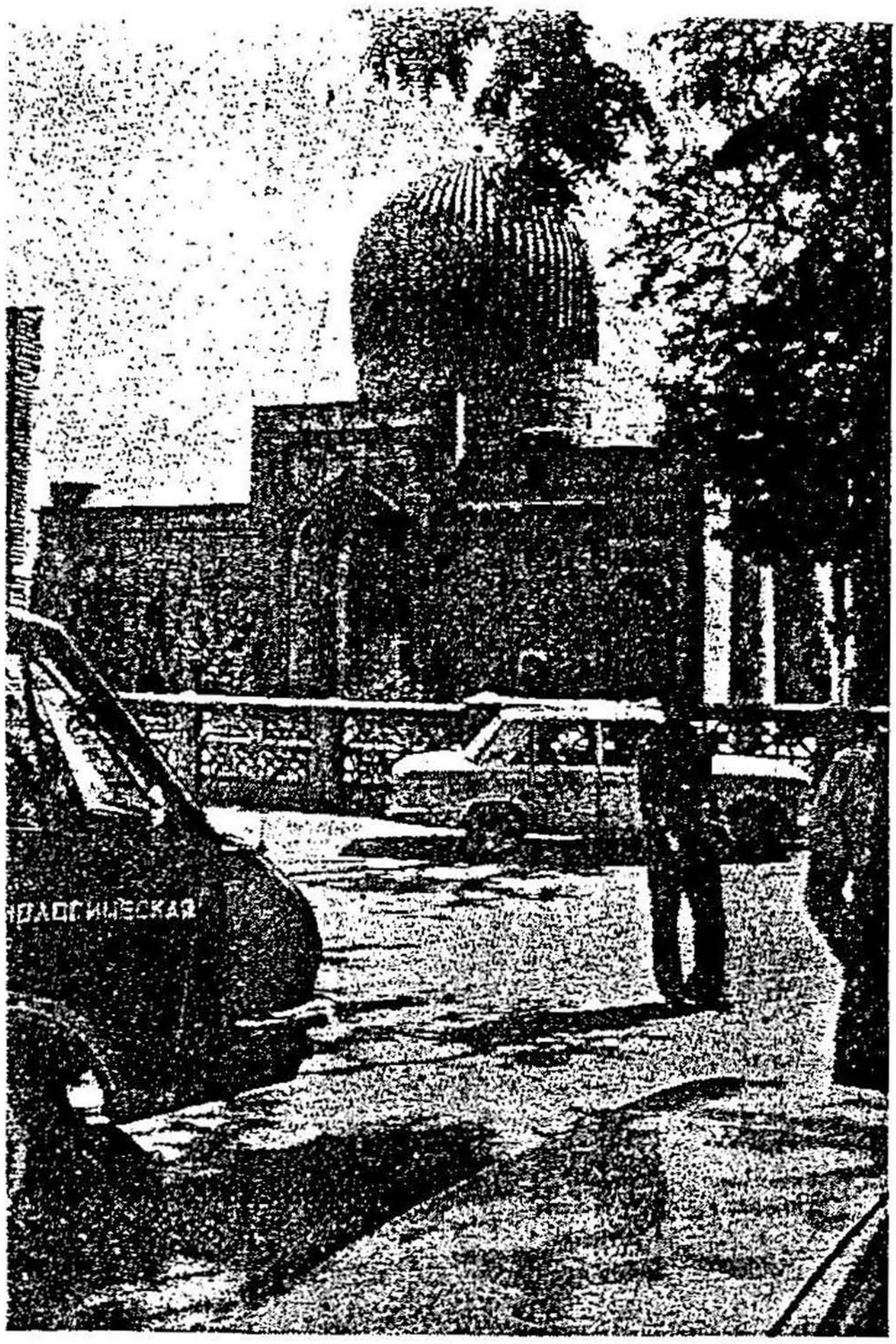

● احد المساجد في مدينة طشقند عاصمة اوز بكستان.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وجدت اسيا المركزية نفسها مستعدة للحصول على الاستقلال السياسي المتكامل خلال فترة اندلاع ثورة فبراير (شباط) عام ١٩١٧ في الاتحاد السوفياتي. وحينئذ طالب كافة القادة الموجودون في جمهوريات اسيا المركزية الحصول على الاستقلال الكامل للجمهورية التي يعيشون فيها، كما حلموا في نفس الوقت بتحقيق جمهورية «تركستان الكبرى» الممتدة شرقا من باميز الى بحر قزوين (الخزر) غربا.

وعقد الكثير من الزعماء امالهم لتحقيقها على يد البولشفيين. لانهم وعدوا بتقديم الحرية لكل الفئات والشعوب التي عانت من الاضطهاد في عهد القيصر الروسي. وفي شهر ديسمبر ١٩١٧، وجه قادة الثورة نداء الى «المسلمين في روسيا، والتتار في الفولغا والقرم، وسكان قرجيزيا والسارتيين في كل من سيبيريا وتركستان، والى الاتراك، والتتار في منطقة القوقاز الوسطى، والى التشيشيين، وسكان الجبال في القوقاز» اكدوا فيه على حرية التفكير والمعتقدات.

وفي مناطق اسيا السوفياتية، قدم حوالي ٩٠ الف معتقل الماني ونمساوي في الحرب، ممن تم نفيهم الى الصحراء، ثم تمت عملية تسليحهم قدموا مساعدة للثوار الحمر في قتالهم ضد الحركات الوطنية في هذه المناطق. وقد اضطرت موسكو لهدر كثير من الدماء لتتمكن من الاستيلاء والسيطرة مرة ثانية على اسيا المركزية حيث ابيد في هذه المعارك ثلث عدد السكان الذين يقطنون جمهورية قرجيزيا.

وكان القائد العسكري الاحمر «فروفزة» من مواليد مدينة بيشبيك بجمهورية قرجيزيا ـ والتي يطلق عليها اليوم فرونزة وهي عاصمة الجمهورية ـ وهو من جماعة المولدوبيين، هو الذي استطاع تحقيق عودة موسكو للسيطرة على اسيا المركزية باعتباره من المخططين العسكريين المنتمين للثورة الحمراء في الاتحاد

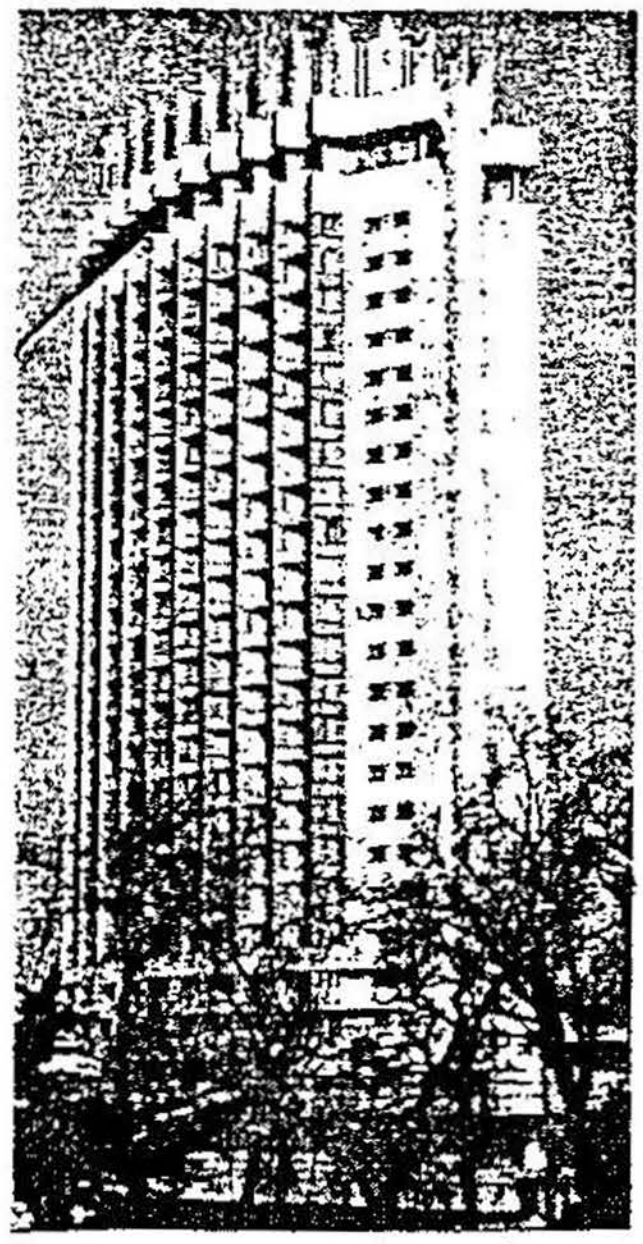

احد الفنادق في مدينة «آلما آتا» عاصمة جمهورية كازاخستان السوفياتية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

السوفياتي في عام ١٩١٧. وانتهت الحرب والسيطرة على اسيا الوسطى عام ١٩٢٠.

وفي عام ١٩٢٤ تمت اعادة اخر الاشخاص المطالبين بالانفصال عن الاتحاد السوفييتي في كل من خانات وبخاري وخيفا الى بلادهم. ومنذ ذلك الوقت، بدأت عمليات الاضطهاد السوفياتي لا على المواطنين في اسيا السوفياتية فحسب، بل وفي معظم انحاء البلاد الواسعة.

وخلال فترة لا تتجاوز العشرة اعوام، خاض الجيش الاحمر حربا صغيرة ضد المقاومة التي كانت تعتمد على الثوار المسلمين الذين كان يطلق عليم «البازماتشيين» وكانوا في البداية تحت قيادة الثائر التركي والمقامر انور باشا حيث كان يحصل احيانا على جزء من المعونة التي كان بحاجة اليها من افغانستان المجاورة. وبانتهاء المدة المنكورة، انهى الجيش الاحمر هذه الحرب بشكل دموي للغاية.

وانهدرت الدماء ثانية فوق تراب اسيا المركزية من خلال التعليمات التي امر ستالين بتطبيقها في مناطق البطاح العشبية بتشكيل مجمعات تعاونية، وانتهت هذه الاوامر بحدوث مجاعة مات على اثرها اكثر من مليون نسمة من مواطني كازاخستان.

ولازالة فكرة تحقيق جمهورية «تركستان الكبرى» من الوجود، عمد ستالين الى تقسيم اسيا المركزية الى خمس جمهوريات مستقلة فيما بينها، حيث رسمت الحدود فيما بينها بشكل تعسفي، بحيث لا تستطيع اية جمهورية العيش بمفردها دون الاعتماد على الجمهوريات الاخرى المجاورة لها، وربط ستالين هذه الجمهوريات بموسكو، وهي كالتالي:

كازاخستان وعاصمتها «آلما آتا»
واوزبكستان وعاصمتها «بخاري»
وتركمنستان وعاصمتها «عشق آباد»
وتاجكستان وعاصمتها «دوشبني»
وقرجيزيا وعاصمتها «فرونزة».

ومن خلال عملية التطهير التي قامت بها موسكو في اسيا المركزية والتي استمرت حتى نهاية الثلاثينات في هذا القرن، سقط ضحيتها جيل كامل من المواطنين العاملين من الحزب الشيوعي باكمله تقريبا، تمكنت موسكو من القضاء تقريبا على كافة اشكال المقاومة في هذه المنطقة.

ومن ضحايا هذه الحرب، رئيس المحكمة العليا في اوزبكستان المدعو سعد الله قاسم، الذي حكم عليه بالاعدام سنة ١٩٣٠ حيث كتب قبل وفاته العبارة التالية «لقد كنا في الماضي نخضع لاستعمار بسيط اما اليوم فاننا نعيش الاستعمار الاحمر».

وقد وجهت الثورة البولشفية قبضة من حديد في وجه كل التيارات الفكرية التي كانت راسخة في نفوس المواطنين في آسيا المركزية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

٣ ـ ان الشعور القومى الاسلامى المتنامى فى صفوف المثقفين المسلمين قد

الاتحاد السوفيتى ان الأحداث فى افغانستان قد تركت تأثيرا عميقا على الرأى العام الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى وقال ان الصحفيين الغربيين الذين زاروا جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بعد غزو افغانستان تحدثوا عن عدم وجود دلائل ظاهرة على تأثير ذلك على السكان المحليين بصورة يحتمل ان تثير متاعب للسلطات السوفيتية غير ان زائرى المنطقة من المسلمين فى الشرق الأوسط رجعوا بانطباع آخر عن مواقف المسلمين المحليين والغربيون لديهم بالطبع مشكلة لغة وهم يجدون انفسهم عادة متعاملين مع مسئولين يشعرون انهم مضطرون لمسايرة الخط السوفيتى الرسمى الذى يردد نغمة ان الغزو السوفيتى لافغانستان يحدث تحسنا تدعو اليه الحاجة منذ زمن بعيد فى مستوى معيشة مسلمي افغانستان !!!

وهذه النغمة المجوجة لايمكن ان تجد من يصدقها خاصة فى العالم الاسلامى الذى يدرك يقينا انه يواجه تحديات خطيرة من جراء حملة تتزعمها الشيوعية والصهيونية وعملائهما للقضاء على الاسلام والمسلمين ٠

وقد قدم الدكتور بنيفسين خلال اجتماع واشنطن ادلة كثيرة لتأكيد ان الأحداث فى افغانستان التى نصبت فيها الكرملين نظام حكم ماركسى عميل له قد تركت تأثيرا عميقا على الرأى العام الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى وهى :

١ ـ بروز معارضة قوية للغزو السوفيتى فى صفوف الجنود المسلمين فى القوة السوفيتية الغازية حينما كانوا فى افغانستان وكذلك لدى عودتهم الى آسيا الوسطى السوفيتية ٠ فقد ضعت القوة بين ٤٠,٢٥ فى المائة من الجنود المسلمين ٠

اتخذ كل منافسة شديدة للروس فى مجال الحصول على العمل وكذلك شكل رغبة جارفة فى انشاء استقلال ذاتى اكبر للثقافات الاسلامية التى تحاول السلطات السوفيتية طمسها واحلالها بثقافات الحادية ٠

ويقر الدكتور بنيفسين ان الاسلام قد كبت بصورة راديكالية فى الاتحاد السوفيتى خلال نصف القرن الماضى حيث تسببت السياسات المعادية للدين فى انخفاض عدد المسلمين وانخفاض عدد المدارس الاسلامية من ١٤٥٠٠ مدرسة قبل الثورة الشيوعية فى عام ١٩١٧ الى مدرستين فقط اليوم وكذلك انخفاض عدد رجال الدين من ٣٥٠٠٠ قبل الثورة الى أقل من ١٠٠٠ اليوم ٠ كما ان المظاهر الاسلامية ازيلت كليا من الحياة العامة ٠

ورغم ذلك فان المعنى الدينى للتقاليد الاسلامية ما زال ثابتا بالنسبة لكثيرين فى آسيا الوسطى واهميتها الحضارية ما زالت حتى اقوى من السابق ٠ ويقول الدكتور بنيفسين ان حوالى ٨٠ فى المائة من المسلمين فى روسيا يمارسون الشعائر الدينية الخاصة بالزواج ودفن الموتى والختان واحترام المسنين والعائلات الكبيرة وخلال العقد الماضى ظهرت موجة من الاهتمام فى اعادة اكتشاف الجذور التاريخية والحضارية وخاصة فى صفوف المثقفين المسلمين الشباب ٠

ويضيف قائلا ان مدى التأثير الذى يتركه حماس المعاداة للغزو السوفيتى لافغانستان على آسيا الوسطى يمكن ان يعتمد على طول المدة التى ستبقى خلالها القوات السوفيتية فى افغانستان ، وانه من غير الممكن بعد الآن منع الناس من عبور الحدود الفاصلة بين افغانستان وآسيا الوسطى السوفيتية بمن فيهم اولئك الذين هم على اتصال مع المجاهدين ٠٠ لقد اخذ الغزو يحدث تأثيرا مع تصاعد المقاومة الافغانية ٠ وليس من المستبعد ان ينضم المسلمون فى الاتحاد السوفيتى الى المجاهدين فى حربهم التحريرية ضد القوات السوفيتية ٠ ومن يدرى فقد يكون الغزو السوفيتى لافغانستان هو نقطة الماء التى فاض بها الاناء والتى ستعجل باضطراب آسيا الوسطى السوفيتية وتجعل المسلمين السوفيت يدركون عمليا انهم جزء من العالم الاسلامى ٠

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

٣ ـ ان الشعور القومى الاسلامى المتنامى فى صفوف المثقفين المسلمين قد

الاتحاد السوفيتى ان الأحداث فى افغانستان قد تركت تأثيرا عميقا على الرأى العام الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى وقال ان الصحفيين الغربيين الذين زاروا جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية بعد غزو افغانستان تحدثوا عن عدم وجود دلائل ظاهرة على تأثير ذلك على السكان المحليين بصورة يحتمل ان تثير متاعب للسلطات السوفيتية غير ان زائرى المنطقة من المسلمين فى الشرق الأوسط رجعوا بانطباع آخر عن مواقف المسلمين المحليين والغربيون لديهم بالطبع مشكلة لغة وهم يجدون انفسهم عادة متعاملين مع مسئولين يشعرون انهم مضطرون لمسايرة الخط السوفيتى الرسمى الذى يردد نغمة ان الغزو السوفيتى لافغانستان يحدث تحسنا تدعو اليه الحاجة منذ زمن بعيد فى مستوى معيشة مسلمي افغانستان !!!

وهذه النغمة المجوجة لايمكن ان تجد من يصدقها خاصة فى العالم الاسلامى الذى يدرك يقينا انه يواجه تحديات خطيرة من جراء حملة تتزعمها الشيوعية والصهيونية وعملائهما للقضاء على الاسلام والمسلمين ٠

وقد قدم الدكتور بنيفسين خلال اجتماع واشنطن ادلة كثيرة لتأكيد ان الأحداث فى افغانستان التى نصبت فيها الكرملين نظام حكم ماركسى عميل له قد تركت تأثيرا عميقا على الرأى العام الاسلامى فى الاتحاد السوفيتى وهى :

١ ـ بروز معارضة قوية للغزو السوفيتى فى صفوف الجنود المسلمين فى القوة السوفيتية الغازية حينما كانوا فى افغانستان وكذلك لدى عودتهم الى آسيا الوسطى السوفيتية ٠ فقد ضعت القوة بين ٤٠,٢٥ فى المائة من الجنود المسلمين ٠

اتخذ كل منافسة شديدة للروس فى مجال الحصول على العمل وكذلك شكل رغبة جارفة فى انشاء استقلال ذاتى اكبر للثقافات الاسلامية التى تحاول السلطات السوفيتية طمسها واحلالها بثقافات الحادية ٠

ويقر الدكتور بنيفسين ان الاسلام قد كبت بصورة راديكالية فى الاتحاد السوفيتى خلال نصف القرن الماضى حيث تسببت السياسات المعادية للدين فى انخفاض عدد المسلمين وانخفاض عدد المدارس الاسلامية من ١٤٥٠٠ مدرسة قبل الثورة الشيوعية فى عام ١٩١٧ الى مدرستين فقط اليوم وكذلك انخفاض عدد رجال الدين من ٣٥٠٠٠ قبل الثورة الى أقل من ١٠٠٠ اليوم ٠ كما ان المظاهر الاسلامية ازيلت كليا من الحياة العامة ٠

ورغم ذلك فان المعنى الدينى للتقاليد الاسلامية ما زال ثابتا بالنسبة لكثيرين فى آسيا الوسطى واهميتها الحضارية ما زالت حتى اقوى من السابق ٠ ويقول الدكتور بنيفسين ان حوالى ٨٠ فى المائة من المسلمين فى روسيا يمارسون الشعائر الدينية الخاصة بالزواج ودفن الموتى والختان واحترام المسنين والعائلات الكبيرة وخلال العقد الماضى ظهرت موجة من الاهتمام فى اعادة اكتشاف الجذور التاريخية والحضارية وخاصة فى صفوف المثقفين المسلمين الشباب ٠

ويضيف قائلا ان مدى التأثير الذى يتركه حماس المعاداة للغزو السوفيتى لافغانستان على آسيا الوسطى يمكن ان يعتمد على طول المدة التى ستبقى خلالها القوات السوفيتية فى افغانستان ، وانه من غير الممكن بعد الآن منع الناس من عبور الحدود الفاصلة بين افغانستان وآسيا الوسطى السوفيتية بمن فيهم اولئك الذين هم على اتصال مع المجاهدين ٠٠ لقد اخذ الغزو يحدث تأثيرا مع تصاعد المقاومة الافغانية ٠ وليس من المستبعد ان ينضم المسلمون فى الاتحاد السوفيتى الى المجاهدين فى حربهم التحريرية ضد القوات السوفيتية ٠ ومن يدرى فقد يكون الغزو السوفيتى لافغانستان هو نقطة الماء التى فاض بها الاناء والتى ستعجل باضطراب آسيا الوسطى السوفيتية وتجعل المسلمين السوفيت يدركون عمليا انهم جزء من العالم الاسلامى ٠

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية